سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ ﴾

تَبَارَكَ الَّذِي: تعالى وتمجد أو تكاثر خيره.

بِيَدِهِ الْمُلْكُ: له الأمر والنهي والسلطان.

خَلَقَ الْمَوْتَ: أوجده، أو قدره أزلا.

لِيَبْلُوَكُمْ: ليختبركم فيما بين الحياة والموت.

أَحْسَنُ عَمَلاً: أصوبه وأخلصه أو أسرع طاعة.

طِبَاقاً: كل سماء مَقْبيَّةٌ على الأخرى.

تَفَاوُتٍ: اختلاف وعدم تناسب.

فُطُورٍ: شقوق وصدوع أو خلل.

كَرَّتَيْنِ: رجعتين رجعة بعد رجعة.

خَاسِئاً: صاغراً لعدم وجدان الفطور.

وَهُوَ حَسِيرٌ: كليل من كثرة المراجعة.

obeikandl.com

إن شخصاً ما حين يدرس عالمنا الراهن يفاجأ بوجود نوعٍ من التناقض ، حيث يرى الكون بأكمله، ما عدا الإنسان؛ يتسم بمنتهى الكمال ودقة التنظيم والانسجام؛ ولا يوجد فيه نقص أوْ خلل في أي ناحية من نواحيه، بينما تبدو الحياة الإنسانية، على نقيض من هذا، مملوءةً ظلماً وفساداً وفوضى . والسبب في هذا التناقض بين العالَمَيْن - عالم الطبيعة وعالم البشر - يرجع إلى وضعية الإنسان المتميزة ، فالإنسان يمر في هذه الدنيا بحالة امتحان، والامتحان يستلزم توفير حرية العمل والتصرف بالضرورة .. وحرية العمل هذه هي التي أتاحت للناس فرصتهم ليملؤوا البر والبحر بألوان الظلم والفساد .

إن مظالم العالم الإنساني هي ثمن الحرية المتاحة للإنسان امتحاناً ، ولولا هذا الوضع فكيف يمكن إذن انتقاء تلك النفوس الغالية التي تجنّبت الظلم رغم توافر إمكاناته ودواعيه، والتي ترفعت عن العناد والطغيان رغم القدرة على ممارسته .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾

بِمَصَابِيحَ: بكواكب عظيمة مضيئة.

رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ: بانقضاض الشهب منها عليهم.

شَهِيقاً: صوتا منكرا كصوت الحمير.

تَكَادُ تَمَيَّزُ: تتقطع وتفرق وتنشق.

فَوْجٌ: جماعة من الكفار.

فَسُحْقاً: فبعدا من الرحمة والكرامة.

صور القرآن أحوال جهنم وأهوالها في مواضع منه شتى، وهذه جهنّم، وإن كانت خارجةً عن حدود مشاهدة الإنسان المباشرة اليوم، إلا أنها متجلية، بصورة غير مباشرةٍ، فيما ينطوي عليه هذا الكون العجيب من حكمة ومعنى وغايةٍ شاملةٍ، والحقيقة هي أنه لولا وعيد اليوم الآخر الذي يؤاخذ فيه المجرمون ويلاقون جزاء إجرامهم،لصار هذا الكون، بكل ما يسري في أرجائه من حكمة وغاية، غير قابلٍ للتفسير!

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾

كون عذاب الآخرة غير قابلٍ للمشاهدة والتجربة في عالمنا الراهن مطابق تماماً للتدبير الإلهي، حيث يريد الله سبحانه أن ينتقى من بين البشر أفراداً يسلمون بعظمته وهم لم يروه، ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه وهم لم يروه، وليس للتعرف على أمثال هؤلاء من سبيل إلا إذا أخفي عن أعين الناس مصيرهم الأخروي المحتوم، حتى يعمل المرء ما يعمل بمحض اختياره، لا خضوعاً لأوامر قسرية مفروضة عليه من الخارج فرضاً!

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم

مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ﴾

الأَرْضَ ذَلُولاً: مذللة لينة سهلة تستقرون عليها.

مَنَاكِبِهَا: جوانبها، أو طرقها وفجاجها.

وَإِلَيْهِ النُّشُورُ: إليه تبعثون من القبور.

مَّن فِي السَّمَاءِ: أمره وقضاؤه وسلطانه.

يَخْسِفَ بِكُمُ: يغور بكم.

هِيَ تَمُورُ: ترتج وتضطرب فتعلو عليكم.

حَاصِباً: ريحا من السماء فيها حصباء.

كَيْفَ نَذِيرِ: كيف إنذاري وقدرتي على العقاب.

كَانَ نَكِيرِ: إنكاري عليهم بالإهلاك.

كل شيء في هذا الكوكب الأرضي يتسم بالتوازن إلى أقصى حدٍ، وهذا التوازن هو الذي جعل الأرض صالحةً لسكنى الإنسان ، ولو حدث أدنى خللٍ في هذا التوازن لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق،ودوام التوجه إلى الله بالشكر والامتنان على هذا العالم المتوازن الذي هيّأه لنا، والتعوذ به تعالى من المتاعب التي يمكن أن نتعرض لها في حالة اختلال هذا التوازن الكوني فجأةً، هو ما يطلبه الله من البشر !!

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ

ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾

صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ: باسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن.

أَمَّنْ هَذَا: بل من هذا ؟

جُندٌ لَّكُمْ: أعوان لكم ومنعة.

غُرُورٍ: خديعة من الشيطان.

لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ: تمادوا في استكبار وعناد.

وَنُفُورٍ: شراد وتباعد عن الحق.

إن طيران الطيور في الجو، وخروج الرزق من باطن الأرض ونحوهما من الظواهر والوقائع مما يحير العقل، ويدعو إلى الدهشة والإكبار الشديدين ، ولو تأمل الإنسان في هذه الوقائع بجديةٍ لغمره فيض من الشعور الإلهي ، ولكن الإنسان غافل لدرجة أنه يعاند ويتمرد على الله في عالم يلقنه فيه كل ما حوله من الأشياء درساً واحداً ليس غير، ألا وهو درس الطاعة الإلهية !

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

مُكِباً عَلَى وَجْهِهِ: ساقطا عليه لا يأمن العثور.

يَمْشِي سَوِياً: يمشي مستويا منتصبا سالماً من العثور (مثل للمشرك والموحد) .

obeikandl.com

ذَرَأَكُمْ: خلقكم وبثكم وفرقكم.

خُلق الإنسان مزوداً بقوى السمع والبصر والتعقل ، والناس، بالنسبة إلى استخدام هذه المواهب، صنفان: فمنهم مَن يندفع وراء ما يسمع بلا رويّةٍ، ويصدق بما وقع عليه بصره كما يبدو ظاهراً دون التحقق من حقيقة أمره ، ويتمسك بالفكرة تنبت في رأسه من غير تمحيصٍ أوْ مراجعةٍ ، وهذا الإنسان شأنه شأن الحيوان يأخذ في السير على أي طريقٍ وُجه إليه وبصره ملتصق بمواطئ أقدامه، لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار، وهو لا يدري إلى أين المسير ولماذا !؟

أما الإنسان الآخر فهو الذي يتحقق مما سمع، ويحاول الاطلاع على ما رآه بمزيدٍ من الدقة والصواب، وهو الذي يكتشف الصدق متحرراً من أنانيته وتحطيم قوقعته الذاتية. هذا الإنسان الأخير هو الذي يسير منتصباً معتدلاً على طريق واضح المعالم مستقيم لا عوج فيه، وإنما زُوِّد الإنسان بملكات السمع والبصر والفؤاد، كي يتعرف على الحق، لا أن يظل جاهلاً به غافلاً عنه كالأعمى الأصم !!

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

رَأَوْهُ زُلْفَةً: رأوا العذاب قريبا منهم.

سِيئَتْ: كئبت واسودت غماً وذلاً.

بِهِ تَدَّعُونَ: تطلبون أن يعجل لكم استهزاء.

أَرَأَيْتُمْ: أخبروني أو أروني.

يُجِيرُ الكَافِرِينَ: ينجيهم أو يمنعهم أو يؤمنهم.

غَوْراً: غائرا ذاهبا في الأرض لا ينال.

بِمَاءٍ مَّعِينٍ: جار أو ظاهر سهل التناول.

إذا أبى المخاطب الإذعان للدليل، ولم تعدْ وسائل الإقناع المنطقي تجدي معه شيئاً، فإن الداعي يلجأ إلى تنبيه ضميره معبراً عن يقينه بقوةٍ ، والآيات محل تدبرنا هي بمثابة كلمات اليقين من هذا النوع ، ولئن كان المرء لا يزال يحتفظ بشعوره حياً لدرجةٍ ما، فإن هذه الكلمات الأخيرة ستقلق باله وتقض عليه مضجعه بكل تأكيدٍ، وأما الذي تبلد إحساسه وخمد شعوره كلياً، فإنه لا يستيقظ بأي تدبيرٍ أوْ وسيلةٍ، وهو لا يسلم بقيمة "الماء" ولا يقدره حق قدره إلا إذا حُرم منه وقذف به وحيداً في أحضان الصحراء !.